سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع

مقدمة الإصدار الأول

تم تعيينى عام (١٩٩٨) مديرًا لمركز تنمية الإمكانات البشرية ـ بكلية البنات جامعة عين شمس ـ وتمنيت إصدار (سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع) تحت مظلة المركز فى ذلك الوقت.. بهدف تقديم بعض الموضوعات الخاصة بالأسرة والمشكلات السلوكية للأبناء بطريقة عملية مبسطة ومفيدة تساعد على تنمية وعى الوالدين والأبناء، وعلاج بعض المشكلات أو الوقاية منها لفئات المجتمع المختلفة.

وقمت بعرض الفكرة على الزملاء بقسم علم النفس واستحسنوا الفكرة.. إلا أنها لم تبدأ فى ذلك الوقت.. ودارت عجلة الحياة بمشاغلها ومسئولياتها الكبيرة.

وقد وفقنى الله سبحانه وتعالى عام ٢٠٠٢م للعمل بكلية التربية والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ـ سابقًا ـ جامعة طيبة حاليًا ـ وعشت بكل مشاعرى فى هذه المدينة المقدسة مدينة رسول الله ﷺ.. وبدأت أشعر برغبة شديدة نحو مسئوليتى أمام

الله سبحانه وتعالى فى تقديم ثقافة سيكولوجية للجميع؛ عسى أن يستفيد الوالدان والأبناء والمربون من تلك الثقافة وأن ينتفع بها المنفعة القصوى.

وهذا هو الإصدار التاسع عشر من هذه السلسلة تحت عنوان:

"فن وأساليب تربية ومعاملة الأبناء (الأطفال والمراهقين)".

وأدعو الله أن ييسر لى استكمال تلك السلسلة.

وأن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه سبحانه وتعالى.

والله ولى التوفيق.

أ.د. سناء محمد سليمان

٢٠٠٨ م

obeikandl.com

فن وأساليب تربية ومعاملة الأبناء

(الأطفال والمراهقين)

المقدمة:

من الأمور التى لا يختلف فيها اثنان أن محبة الأولاد والتطلع إلى إنجابهم ورؤيتهم من أهم الغرائز التى فُطر عليها الإنسان، بل هى من أسس الحياة النفسية والاجتماعية والطبيعية لكثير من الكائنات الحية، فالأولاد هم أغلى ما فى الحياة وهم فلذات أكبادنا التى تمشى على الأرض، بهم تتحقق عاطفة الأبوة التى تفيض بينابيع الأحاسيس النبيلة ذات الأثر الطيب، والنتائج الكريمة، فى رعاية الأبناء وحسن تنشئتهم والقيام بمهام الأسرة وغاياتها فى دين الإسلام الحنيف.

لذلك فالأبناء أمانة وضعها الله سبحانه وتعالى بين أيدى الآباء وهم مسئولون عنها، فإن أحسنوا إليهم بحسن التربية كان لهم الثواب و الأجر، إن أساءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة.

فالأبناء يُخلقون مزودين بقوى فطرية تصلح للخير كما تصلح لأن توجه للشر، وعلى الآباء أن يستغلوا هذه القوى يوجهوها وجهة الخير ويعودوهم على العادات الحسنة حتى ينشأ الطفل نشأة خيرة ينفع نفسه وينفع أمته.

ولقد دلت الآيات والأحاديث على فضل تربية الأبناء ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾.

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، و المرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها).

وقال ﷺ: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يرح (يشم) رائحة الجنة).

وقال ابن عمر – رضى الله عنهما: أدب ابنك فإنك مسئول عنه، ماذا أدبته؟ و ماذا علمته؟ وهو مسئول عن برك وعن طواعته لك.

وأخبر النبى ﷺ أن التربية خير من الصدقة قال: (لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع).

وأما تربية البنات فهى حجاب عن النار فعن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان له ثلاث بنات يؤدبهن و يكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة، فقال رجل من بعض القوم: واثنتين يا رسول الله؟ قال: و اثنتين).

لقد ولى العصر القديم الذى حمل فى طياته تربية عفوية، لا تعتمد على أصول واعتبارات علمية، و ميزة ذلك العصر هى أن الأهل لم

يشعروا فى يوم من الأيام باضطرابات نفسية خلال فترة تربيتهم لأبنائهم، ولم يفكروا ما إذا كانت أساليبهم التربوية فاشلة أم ناجحة.

أما فى عصرنا الحاضر فقد أخذت التربية اتجاهًا جديدًا، يعتمد على أصول علمية مهمتها النجاح فى طريقة تربية الأولاد داخل المنزل، فبعض الأسر تبقى حائرة، مضطربة، خائفة، على مستقبل الأولاد، محاولة التعرف واتباع أنجح الطرق التربوية التى من شأنها تأمين حياة هادئة وسعيدة، ينعم بها الأولاد من الناحيتين الجسدية والسيكولوجية، وهناك بعض العائلات التى تلجأ إلى الأطباء والمرشدين النفسيين لمعالجة بعض المشكلات الحياتية ولمعرفة مدى نجاح تربيتهم لأبنائهم وكيفية تأثيرها على المستقبل.

مثال على ذلك:

قالت إحدى الأمهات، لقد اضطررت إلى العمل خارج المنزل مع العلم بأن ولدها يحتاج إلى وجودها بقربه ولذا فإنها خائفة من تأثير خروجها للعمل على حالته النفسية.

ومثال آخر:

إحدى الأمهات تقول يحدث باستمرار خلافات مع زوجى أمام طفلتى الصغيرة التى لا تتجاوز الخامسة من عمرها، أنا حزينة جدًا وخائفة من أن ينعكس هذا الشجار سلبًا على تطورها النفسى.

من هذه الأمثلة نلاحظ نوعًا من الصراع النفسى ومن تأنيب الضمير عند الأهل. وقد يسبب لهم ذلك بعض الأمراض الجسدية، كما أن بعض الأهل يعتبر خطأ أن لهم حقوقًا إلى جانب واجباتهم اليومية فحقوقهم توجب راحتهم النفسية والجسدية مما يجنبهم الوقوع فى الأمراض الخطيرة، أما واجباتهم فتفرض عليهم الاهتمام بأولادهم دون أن يؤدى ذلك إلى الإفراط فى هذه الواجبات مما قد يؤدى إلى تعبهم أو إرهاقهم.

إن تربية الأطفال قد تتطلب بعض التعب من قبل الأهل لكن عليهم أن لا يقعوا فى بعض طرق التربية التى تسخرهم طوال حياتهم لرغبات ومتطلبات أولادهم لأن نتائجها سيئة لذا فإنه يجب على الأهل معاملة أولادهم وتربيتهم بصدق واحترام متبادل، كما أن على الأهل أن لا يفاجئوا عند حدوث أى تصرف شاذ من أولادهم، لأنه من الصعب مهما كان نوع التربية منعهم من ارتكاب الأخطاء، أو إجبارهم على التصرف كالكبار.

من جهة ثانية للأولاد الحق فى التعبير عن كل ما يشعرون به من أحاسيس، كما أنه للأهل الحق فى العيش بحرية دون أن يكونوا عبيدًا لأولادهم أو أن يصبحوا رهينة لغرائزهم وتصوراتهم.

فإذا كنا نندهش كثيرًا أن نترك شخص غير مدرب بأن يقود سيارة، فما أعظم دهشتنا عندما ترى الأطفال تلك الآلات البشرية الدقيقة

تحت رعاية من لا يعرف معرفة صحيحة مطالب نموهم وحاجاتهم وبخاصة فى السنوات المبكرة التى سيبنى عليها مستقبلهم كله، ولا يعرف فن وأساليب تربية ومعاملة الأبناء.

إن الطبيب البشرى لا يعالج المرضى إلا بعد أن درس وتدرب وتخصص فى جسم الإنسان وأجهزته المختلفة... ومع ذلك فإن الأمهات والآباء يقومون بتربية أولادهم بدون تدريب ما وبدون دراسة وبدون إعداد وتأهيل.

والشائع دائمًا أن الأمهات يقمن بتربية أطفالهن بغريزة الأمومة أى بما عندهن من حب طبيعى نحو صغارهن، والحق أن معظم الأمهات والآباء يحبون صغارهم ولكن الحب وحده لا يكفى لتربية الطفل التربية الصحيحة.

فالحب لا يمكن أن يقوم مقام المعرفة أو العلم أو يغنى عنهما، ولا يمكن فى ظروف حياتنا الحديثة أن يستطيع الوالدان بالحب وحده مواجهة حاجات الطفل ومطالب تربيته فى كافة جوانب حياته.

فالحب بدون العلم كثيرًا ما يكون ذا أثر خطير فى تكوين شخصية الطفل – إذ يبالغ الوالدان فى حبهما للطفل على حد الإسراف فى تدليله وتنفيذ كل ما يريده والتجاوز عن أخطائه وتشجيعه على الأخذ دون عطاء... وعلى أن يُخدم دون أن يَخدم ويتعاون وبذلك ينشأ أنانيًا محبًا لنفسه، فالتدليل يخلق من الطفل شخصًا يضيق بأهون المشكلات ولا

يستطيع مواجهة الصعوبات، كما أن التدليل يضعف ثقة الطفل بنفسه ويميت فيه روح التفرد والاستقلال ويخلق فى نفسه على مر الزمن الصراع بين الاعتماد على الغير والرغبة فى التحرر وتأكيد الذات، غير أن جهل الأمهات والآباء لا يظهر فى تدليل الطفل والتغاضى عن أخطائه فحسب بل قد يظهر فى سوء التصرف مع الأطفال الذى يبلغ حد الإهمال أو النبذ أو القسوة الشديدة فى بعض الأحيان بدعوى أن ذلك يجعل منهم رجالاً أقوياء وأمهات شديدات فى المستقبل.

إذن فإن اتباع الآباء طرق وأساليب سليمة وصحيحة فى تربية الأبناء شىء يهم الجميع.. إلا أننى أشعر بأننى قد تأخرت قليلاً فى إعداد هذا الإصدار من سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع عن (تربية الأبناء) وانشغلت ببعض الموضوعات الأخرى... والسبب فى ذلك أننى أعلم أن هناك بعض المراجع والكتابات الموجودة فى المكتبات التى تحدثت عن تربية الأبناء، إلى جانب العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية التى تناولت هذا الموضوع.

إلا أنه إذا نظرنا حولنا نجد الكثير من الآباء والأمهات الحائرين يسألون كيف نربى أولادنا؟ كيف أتعامل مع ابنى المراهق؟ ما طرق وأساليب رعاية الأبناء الصحيحة والسليمة؟، .....؟، .....؟ إلى غير ذلك من التساؤلات.

كذلك نجد بعض الأمهات والآباء (الحاصلين على أعلى الشهادات

العلمية ومنهم من يعمل فى وظائف رفيعة المستوى قد أنعم الله عليه بالأولاد والبنات (أذكياء، ظرفاء، حلوين) إلا أنهم يتعاملون معهم دائمًا بغضب وقسوة شديدة وألفاظ مدمرة (أنت غبى، أنت شيطان، أنت وحش، أنت متخلف، أنت.....، أنت.....) ولا يوجد فى كلامهم كلمة تشجيع (أنت شاطر، أنت جميل، أنت بطل،.....،...) ولم تتجاوز أعمارهم ٦ أو ٧ سنوات...

مع العلم بأن هؤلاء الأطفال يتعلمون فى أحسن المدارس، ويلبسون أغلى الملابس، ومشتركون فى أرقى النوادى، ويأكلون أشهى المأكولات.... إلا أنهم يتعاملون معهم بطرق غير سليمة و خاطئة... وليس هناك أدنى شك أن هؤلاء الآباء يحبون أولادهم حبًّا كبيرًا ولا يدخرون وسعًا فى رعايتهم... إلا أنهم يتبعون أساليب وطرق خاطئة فى تربية أولادهم.

وبناء على ما سبق ومن أجل مساعدة وتنمية وعى أبنائى وأحبائى وجميع الآباء والأمهات أقدم هذا الإصدار من سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع عن كيفية رعاية وتربية ومعاملة الأبناء(أطفال ومراهقين).

وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع المهم وأن ينتفع به الجميع المنفعة القصوى .